

المكتبة الخضراء للأطفال

٥٧

طيور الأحلام



رسوم

جمال قطب



دار المعارف

تأليف

يعقوب الشاروني

المكتبة الخضراء للأطفال

٥٧

طيور الأحلام



رسوم
جمال قطب

تأليف
يعقوب الشاروني



دارالمعارف

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

الشاروني ، يعقوب
طيور الأحلام / تأليف يعقوب الشاروني ، رسوم جمال قطب
القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦ .
٤٨ ص ، ٢٤ سم - (المكتبة الخضراء للأطفال ، ٥٧)
تدمك : ٦ - ٦٩٧٨ - ٠٢ - ٩٧٧
١ - قصص الأطفال .
(أ) قطب ، جمال (رسام) .
(ب) العنوان
(ج) السلسلة .

ديوى ٨١٣.٠٢

٧/٢٠٠٦/٢٣

رقم الإيداع ١٦٥٥٢ / ٢٠٠٦

شخصيات القصة

الأمير
شهرمان
ولى عهد
شيراز



الأميرة
حياة
النفوس



الملك
شاه
نعمان
ملك
شيراز



ملك
بابل
والد
الأميرة



وزير
شيراز
الحكيم
زيدان



دادة
ريحانة
مربية
الأميرة



تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

« لَنْ أَقَابِلَ هَؤُلَاءِ السُّفْرَاءَ .. قُولُوا لَهُمْ إِنَّنِي لَا أَفَكِّرُ فِي الزَّوْاجِ ..
إِذَا أَكْثَرُوا مِنْ الْإِلْحَاحِ صَارْحُوهُمْ بِالْحَقِيقَةِ : لَنْ أَتَزَوَّجَ .. هَلْ سَمِعْتُمْ
!؟ أَنَا لَنْ أَتَزَوَّجَ !! »

وتظاهر سهران وزير مملكة بابل بأنه لم يسمع ! .. تجمّدت ملامح
وجهه ووقف في مكانه لا يتزحزح ..

بالأمس سأله والدها « الملك شهاب الدين » في حيرة : ابنتي
الوحيدة ووليّة عهدى « حياة النفوس » جميلة وذكيفة ، لماذا ترفض
كلّ مَنْ يتقدّم لخطبتها ، حتّى إذا كان الأمير « شهرمان » ابن ملك
شيراز أغنى الممالك المجاورة !؟ » ...

ولم يجد الوزير سهران إجابة مقنعة عن سؤال مولاه !

والوزير يواجه وحده الآن غضب الأميرة ! ..

انتظر لحظات لعل حياة النفوس تهدأ ، وفي صوت - جاهد أن
يكون خالياً من الانفعال - عاد يقول لها في تأكيد : « المستقبل أمامه
لامع كبير .. ستصبحين يوماً ملكة على بابل وشيراز معاً ! »

صوّبت عينيها إلى وجه الوزير في تأنيب يشوبه شيء من السخرية :
« إذن فهو يسعى إلى ضمّ الملكتين !؟ .. الرجال لا يبحثون إلا عن
السلطة أو المجد ! .. هل للزوجات مكان في طموحاتكم !؟ ! »

وقبل أن يجيب الوزير عادت تقول : « هل بابل العظيمة لا تتسع
بما فيه الكفاية لأكون سعيدة بحكمها يوماً !؟ »

ثُمَّ أَضَافَتْ وَهِيَ تَسْتَدِيرُ مُبْتَعِدَةً : « قُولُوا لَهُمْ : عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَكْتَفِيَ بِمَمْلَكَتِهِ ! »

وَلَمْ تَنْتَظِرْ لِتَسْمَعَ شَيْئًا آخَرَ ، بَلْ أَسْرَعَتْ تُغَادِرُ الْقَاعَةَ الذَّهَبِيَّةَ ذَاتَ النُّقُوشِ النَّادِرَةِ ، الَّتِي أَعَدَّهَا الْوَزِيرُ لِيَلْتَقِيَ فِيهَا وَالِدَهَا مَلِكُ بَابِلِ بِسُفْرَاءِ مَمْلَكَةِ شِيرَازَ ، وَاخْتَفَتْ خَلْفَ الْبَابِ الْمُوَدِّيِّ إِلَى أَجْنَحَةِ الْقَصْرِ الَّتِي تَعِيشُ فِيهِ حَيَاتَهَا الْخَاصَّةَ ، بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدَتِهَا الْمَلِكَةِ « فَخِرَ الزَّمَانِ » .

٢

لَمْ يُصَدِّقِ الْأَمِيرُ « شَهْرْمَانُ » مَا سَمِعَهُ مِنْ كَبِيرِ السُّفْرَاءِ ! ..
كَانَ كَبِيرُ السُّفْرَاءِ قَدْ تَوَجَّهَ فَوْرَ عَوْدَتِهِ مِنْ مَمْلَكَةِ بَابِلِ إِلَى الْجَنَاحِ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ الْأَمِيرُ « شَهْرْمَانُ » وَلِي الْعَهْدِ بِقَصْرِ وَالِدِهِ « شَاهِ نَعْمَانُ »
مَلِكِ شِيرَازَ ، وَنَقَلَ إِلَى الْأَمِيرِ فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ أَخْبَارَ الرَّفْضِ الْحَاسِمِ الَّذِي قَابَلُوهُمْ بِهِ فِي بَابِلِ .

سَأَلَهُ « شَهْرْمَانُ » فِي ضَيْقٍ وَدَهْشَةٍ : « تَقُولُونَ إِنَّكُمْ عُدْتُمْ بِغَيْرِ مُقَابَلَةٍ الْمَلِكِ !؟ »

وَفِي تَعْبِيرٍ عَنْ عَدَمِ الرِّضَا قَالَتْ كَبِيرَةُ الْوَصِيفَاتِ الَّتِي صَاحَبَتْ جَمَاعَةَ السُّفْرَاءِ : « بَلْ حَتَّى أَنَا لَمْ تَسْمَحْ لِي الْأَمِيرَةُ « حَيَاةُ النَّفُوسِ » أَنْ أَقَابَلَهَا !! »

التفت إليها الأمير « شهرمان » وقد اندفع الدم حارًا إلى رأسه ، فأسرع كبير السفراء يحاول تهدئته : « كل أمراء الممالك المجاورة يؤكدون أنهم لا يسمعون في قصر بابل إلا كلمة « لا » .

لَكِنَّ كَبِيرَةَ الْوَصِيفَاتِ أَضَافَتْ وَابْتِسَامَةً تَتَلَاعَبُ عَلَى شَفَتَيْهَا :
« وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ أَجْمَلُ الْجَمِيلَاتِ يَا مَوْلَايَ !! » .

انْقَلَبَتْ مَلَامِحُ الْأَمِيرِ مِنَ الضِّيْقِ وَالغَضَبِ إِلَى الدَّهْشَةِ الْبَالِغَةِ :
« تَقُولِينَ إِنَّكَ لَمْ تُقَابِلِيهَا ؟ ! » .

اتَّسَعَتْ ابْتِسَامَةُ الْوَصِيفَةِ : « لَكِنِّي رَأَيْتُهَا وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَرْنِي ..
سَيَكُونُ يَوْمَ السَّعْدِ لَكَ يَا سَيِّدِي إِذَا وَافَقَتْ ! » .

ارْتَمَى الْأَمِيرُ عَلَى مَقْعَدِهِ وَهُوَ يَهْمِسُ سَاخِطًا : « النَّظْرَةُ مِنْ بَعِيدٍ
لَا تَكْفِي .. أَوْدُ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ عَنِ طَبَاعِهَا وَعَقْلِهَا .. خَبَرَاتِهَا وَحِكْمَتِهَا ..
هَلْ يُحِبُّهَا أَهْلُ بَيْتِهَا وَالْعَامِلُونَ فِيهِ ؟ » .

التفت كبير السُّفراءِ إلى كَبِيرَةِ الْوَصِيفَاتِ يَسْتَنْجِدُ بِهَا أَنْ تُجِيبَ
بشئٍ ..

قَالَتْ : « عَرَفْتُ مِنْ مُرَبِّبَتِهَا « دَادَةَ رِيحَانَةَ » أَنَّهَا لَا تُغْلِقُ بَابَهَا
فِي وَجْهِ أَيْةِ فَتَاةٍ أَوْ سَيِّدَةٍ تُرِيدُ تَفْسِيرًا لِحُلْمٍ ! » .

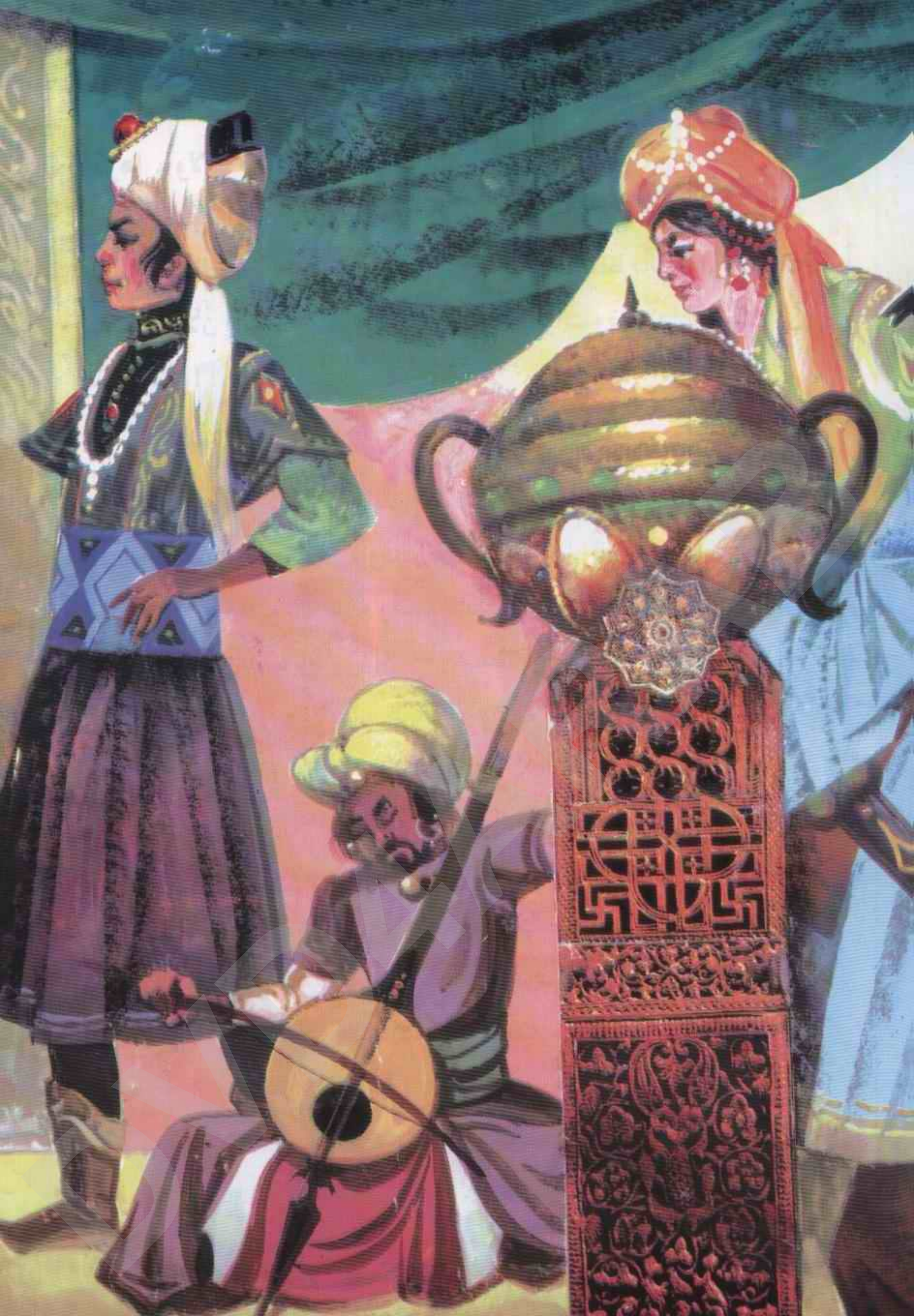
قفز الأمير واقفاً وَقَدْ مَلَأَتْهُ الدَّهْشَةُ : « هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى تَفْسِيرِ
الْأَحْلَامِ ؟ !! .. هَذِهِ هِبَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا أَحْكَمُ الْحُكَمَاءِ ! » .

أضافت كَبِيرَةَ الْوَصِيفَاتِ فِي تَأْكِيدٍ : « كُلَّمَا جَاءَ ذِكْرُهَا أَمَامَ أَيْةِ
سَيِّدَةٍ مِنْ شَعْبِهَا ، تَظْهَرُ ابْتِسَامَةُ الرِّضَا عَلَى الْوُجُوهِ .. هِيَ حَبِيبَةٌ
الْأَطْفَالِ ، وَمُجَفِّفَةٌ دُمُوعِ الْكِبَارِ .. قَالُوا لِي ، مَعَ جَمَالِهَا السَّاحِرِ ،
فَهِيَ حَازِمَةٌ ، طَيِّبَةُ الْقَلْبِ وَكَرِيمَةٌ ... » .

وَلَمْ يَنْتَظِرِ الْأَمِيرُ « شَهْرْمَانَ » سَمَاعَ شَيْءٍ آخَرَ ...

لَقَدْ ائْتَلَأَ عَزْمًا وَتَصْمِيمًا ...





هَمَسَ كَأَنَّمَا يَرَى الْمُسْتَقْبَلَ عِنْدَ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ : « لَنْ أَتَزَوَّجَ
غَيْرَهَا ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْفَوْزِ بِمُؤَافَقَتِهَا ... » .
وَكَانَ يَوَدُّ لَوْ أَعْلَنَ صَرَاحَةً أَنَّ « حَيَاةَ النَّفُوسِ » قَدْ مَلَأَتْ عَلَيْهِ
قَلْبَهُ وَخِيَالَهُ ، لَكِنَّهُ وَجَدَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِأَسْرَارِ عَوَاطِفِهِ
لِنَفْسِهِ ، لِأَنَّ إِصْرَارَهَا عَلَى الرَّفْضِ بِغَيْرِ مُبَرَّرَاتٍ وَضَعَ أَمَامَهُ كَثِيرًا مِنَ
التَّسْأُولَاتِ !!

٣

فِي دَهْشَةٍ شَدِيدَةٍ نَظَرَ الْمَلِكُ « شَاهِ نَعْمَانَ » مَلِكُ شِيرَازٍ إِلَى ابْنِهِ وَوَلِيِّ
عَهْدِهِ الْأَمِيرِ « شَهْرْمَانَ » وَقَالَ لَهُ فِي احْتِجَاجٍ : « هَلْ نَسِيتَ أَنَّي
مَرِيضٌ وَقَدْ يَحْدُثُ أَيُّ شَيْءٍ وَأَنْتِ غَائِبٌ عَنِ الْمَمْلَكَةِ ؟ ! » .
بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ أَجَابَ « شَهْرْمَانُ » : « صِحَّتُكَ أَفْضَلُ مِنْ صِحَّتِي يَا وَالِدِي ،
وَعِنْدَمَا أَعُودُ وَمَعِيَ « الْأَمِيرَةُ حَيَاةُ النَّفُوسِ » سَنَمَلَأُ حَيَاتَكَ سَعَادَةً ،
فَيَطُولُ عُمْرُكَ وَتَهْرَبُ مِنْكَ كُلُّ الْأَمْرَاضِ ! » .
اعْتَرَضَ الْمَلِكُ : « أَنْتِ تَقْدِمُ لِي فِرَاءَ الدُّبِّ قَبْلَ صَيْدِهِ !! .. عَرَفْتُ
أَنَّهَا لَا تَطِيقُ سَمَاعَ شَيْءٍ عَنِ الزَّوْاجِ ! » .
فِي حَمَاسٍ قَالَ الْأَمِيرُ الشَّابُّ : « لَهَذَا لَمْ أَجِدْ مَفْرَأً مِنَ الذَّهَابِ
إِلَيْهَا بِنَفْسِي ، مُتَخَفِيًّا فِي زِيِّ تَاجِرٍ مَعَ تِجَارَتِهِ » .
صَاحَ وَالِدُهُ مُؤَنِّبًا : « لَيْسَ مِنْ عَادَةِ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ الذَّهَابُ بِأَنْفُسِهِمْ
لِاسْتِرْضَاءِ زَوْجَاتِ الْمُسْتَقْبَلِ !! » .
فِي سُرْعَةٍ أَجَابَ الْأَمِيرُ : « لَكِنَّهَا أَمِيرَةٌ لَيْسَتْ كَكُلِّ الْأَمِيرَاتِ ! ..





هِيَ تُفَسِّرُ الْأَحْلَامَ أَفْضَلَ مِنَ الْحُكَمَاءِ ! .. لِذَلِكَ سَأُصْطَحِبُ مَعِيَ « وَزِيرَنَا
زِيدَانَ » أَحْكَمَ الْحُكَمَاءِ !

هُنَا أَدْرَكَ الْمَلِكُ الشَّيْخَ أَنَّ ابْنَهُ قَدْ اخْتَارَ لِلسَّفَرِ أَفْضَلَ صُحْبَةٍ ، وَأَنَّهُ لَنْ
يَكُونَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلتَّوَقُّفِ أَوْ التَّرَاجُعِ ، فَاضْطُرَّ إِلَى إِنْهَاءِ الْمَوْقِفِ وَهُوَ
يَتَنَهَّدُ فِي أَسْفٍ : « هَذَا مَعْنَاهُ اتَّفَاقُكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ !! ..
اذهَبْ إِذْنًا وَلَا تَحْزَنْ إِذَا عُدْتَ بِغَيْرِ حَيَاةِ النُّفُوسِ .. وَتَذَكَّرْ
دَائِمًا أَنَّكَ « الْأَمِيرُ شَهْرْمَانَ » ابْنُ « الْمَلِكِ شَاهِ نَعْمَانَ » مَلِكِ بِلَادِ شِيرَازِ
الْعَظِيمَةِ ! »

فُوجِيَ الحُرَّاسُ عَلَى بَوَابِ
مَدِينَةِ بَابِلَ بِقَافِلَةٍ لَمْ يُشَاهِدُوا
مِثْلَ عَظَمَتِهَا مِنْ قَبْلُ ، تَطْلُبُ
الدُّخُولَ .

وعندما عَرَفُوا أَنَّهَا لِلتَّاجِرِ
الشَّابِّ « بدر باسم » القادم من
شِيرَاز - وَهِيَ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي
تَخْفَى فِيهَا الأَمِيرُ شَهْرْمَانُ -
رَحَّبُوا بِهِ ، وَقَادَهُ شَيْخُ التُّجَّارِ
إِلَى دَارِ الضِّيَافَةِ انْتِظَارًا لِيُخْتَارَ
أَحَدَ مَحَلَّاتِ التُّجَّارَةِ الكَبِيرَةِ وَسَطَ

السُّوقِ لِيَبَّيعَ فِيهَا مَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَقْمِشَةٍ حَرِيرِيَّةٍ فَخِرَةٍ اشْتَهَرَتْ
شِيرَازَ بِصِنَاعَتِهَا .

وكان « شهرمان » قد عَرَفَ مِنْ كَبِيرَةٍ وَصِيفَاتِ قَصْرِ وَالِدِهِ ، أَنَّهَا
الأَقْمِشَةُ المَفْضَلَةُ عِنْدَ الأَمِيرَةِ « حَيَاةِ النُّفُوسِ » .
وزيادةً فِي الكِتْمَانِ ، حَرَصَ الأَيُّوفُ عَلَى وَاحِدٍ مِمَّنْ سَبَقَ وَجَاءُوا
مَعَ السُّفَرَاءِ الَّذِينَ رَفَضَتْ « حَيَاةِ النُّفُوسِ » طَلِبَهُمْ ، بَلِ اصْطَحَبَ
مَعَهُ الوَازِيرَ « زِيدَانَ » وَحَدَّهُ ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ لِقَبَّ « الوَكِيلِ نَجْمِ
الكَاشِفِ » إِمْعَانًا فِي التَّخْفِيِّ .



لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ تَسْتَقْبَلَ « الْأَمِيرَةُ حَيَاةُ النَّفُوسِ » مُرَبِّيتَهَا
 الْمَرْحَةَ « دَادَةَ رِيحَانَةَ » بَعْدَ عَوْدَتِهَا مُبَاشِرَةً مِنَ السُّوقِ ، فَمَدِينَةُ بَابِلَ
 لَمْ تَكُفَّ عَنِ الْحَدِيثِ حَوْلَ الْأَقْمِشَةِ الْحَرِيرِيَّةِ النَّفِيسَةِ ذَاتِ الرُّسُومِ
 الْخَيَالِيَّةِ الْبَدِيعَةِ الَّتِي يَعْرِضُهَا التَّاجِرُ الشَّيرَازِيُّ الشَّابُّ ، الَّذِي افْتَتَحَ
 قَبْلَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ أَكْبَرَ مَتَجَرٍّ فِي الْمَدِينَةِ لِيَبِيعَ أَفْخَرَ الْمَنْسُوجَاتِ .
 كَانَتْ « رِيحَانَةُ » تَعْرِضُ أَمَامَ سَيِّدَتِهَا نَمَاذِجَ مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَجْمَلِ
 الْأَقْمِشَةِ النَّفِيسَةِ الَّتِي أَحْضَرَتْهَا ، وَهِيَ تَحْرِصُ بِشِدَّةٍ أَلَّا تُخْبَرَ
 سَيِّدَتُهَا أَنَّ التَّاجِرَ الشَّابَّ الْوَسِيمَ « بَدْرَ بَاسِمَ » رَفَضَ بِشَهَامَةٍ أَخَذَ
 ثَمَنَ مَا اخْتَارَتْ مِنْ أَقْمِشَةٍ .

وَقَدْ فَعَلَتْ ذَلِكَ تَجَنُّبًا لِعُضْبِ سَيِّدَتِهَا إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ التَّاجِرَ الشَّابَّ قَدْ
 عَرَفَ عِلَاقَتَهَا بِالْأَمِيرَةِ !

كَانَ « شَهْرْمَانُ » أَوْ « التَّاجِرُ بَدْرَ بَاسِمَ » ، قَدْ حَرَصَ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ
 لِافْتِتَاحِ مَتَجَرِّهِ عَلَى إِرْسَالِ أَجْمَلِ الْمُنَادِينَ صَوْتًا ؛ لِيَطُوفَ حَوْلَ قَصْرِ
 الْمَلِكِ مُنَادِيًا تَحْتَ نَوَافِذِ الْأَمِيرَةِ : يُهْمُّنَا إِعْجَابُكُمْ وَلَيْسَ دَنَانِيرُكُمْ ..
 هَدَفْنَا مِنَ التَّجَارَةِ إِسْعَادُكُمْ .. حَرِيرُ شِيرَازٍ مِنْ مَتَاجِرِ بَدْرَ بَاسِمَ ..
 يَجْعَلُ الصَّبَايَا حُورِيَّاتٍ وَالْوَجْهَ « بَاسِمَ » !

وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ تُرْسَلَ الْأَمِيرَةُ مُرَبِّيتَهَا لِتَجْلِبَ لَهَا نَمَاذِجَ مِنْ أَقْمِشَةِ
 « الْحُورِيَّاتِ » هَذِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَتْهَا أَلَّا تُصْرِّحَ أَبَدًا أَنَّ لَهَا صِلَةً بِالْقَصْرِ
 الْمَلِكِيِّ .

لكنَّ المُرَبِّيَّةَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّ عُيُونَ « بدر باسم » حَرَصَتْ عَلَى رَصْدِ كُلِّ خَارِجٍ مِنْ أَبْوَابِ الْقَصْرِ ، فَكَانَ مِنَ السَّهْلِ ، قَبْلَ وُصُولِ « رِيحَانة » إِلَى دُكَّانِهِ ، أَنْ يَسْتَعِدَّ لِاسْتِقْبَالِ مُرَبِّيَّةِ الأَمِيرَةِ ! وَلَوْ كَانَتْ الأَمِيرَةُ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّ التَّاجِرَ الشَّابَّ قَدْ رَفَضَ أَخْذَ ثَمَنِ بَضَاعَتِهِ ، لَامْتَنَعَتْ - بِحَسْمٍ - عَنْ طَلْبِ أَيَّةِ أَقْمَشَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ مَتَجَرِّهِ . لَكِنْ لِأَنَّ مُرَبِّيَّتَهَا أَخْفَتْ عَنْهَا حَقِيقَةَ مَا حَدَثَ ، فَقَدْ أَرْسَلَتْهَا مَرَّةً أُخْرَى فِي اليَوْمِ التَّالِي لِتَشْتَرِيَ لَهَا مَزِيدًا مِنَ الأَقْمَشَةِ الفَاخِرَةِ الَّتِي أَعْجَبَتْهَا أَلْوَانُهَا وَرُسُومُهَا .

٦

فِي الزِّيَارَةِ الثَّانِيَّةِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا « رِيحَانة » لِلسُّوقِ ، طَافَ بِهَا « بدر باسم » بِنَفْسِهِ كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ مَتَجَرِّهِ ، فَانْبَهَرَتْ وَأَصَابَهَا الذُّهُولُ حَتَّى قَالَتْ : « لَمْ يَسْبِقُ أَنْ جَاءَ إِلَى بِلَادِنَا تَاجِرٌ يَتَحَلَّى بِمِثْلِ ذَوْقِكَ المُتَمَيِّزِ ، أَوْ يَمْتَلِكُ كُلَّ هَذَا الثَّرَاءِ العَظِيمِ ! » ثُمَّ أَضَافَتْ وَهِيَ تَتَأَمَّلُ مَلَامِحَ وَجْهِ « بدر باسم » فِي مَحَاوِلَةٍ لِتَسْتَشْفَّ مَا يُخْفِيهِ : « بَلْ إِنَّ حَدِيثَكَ يَا سَيِّدِي لَيْسَ حَدِيثَ تُّجَّارٍ ! » دَهَشَ « بدر باسم » مِنْ هَذِهِ المَلَاخِظَةِ الذَّكِيَّةِ الَّتِي أَبَدَتْهَا « رِيحَانة » ، فَاسْرَعَ يَقُولُ : « بَضَاعَتِي لَا يَشْتَرِيهَا عَادَةً إِلَّا فِئَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ الأَمْرَاءِ وَأَصْحَابِ الذَّوْقِ الرَفِيعِ ، وَلَعَلَّنِي لِهَذَا اخْتَلَفَ عَنْ غَيْرِي مِنَ التُّجَّارِ » .

قَالَتْ « رِيحَانَةٌ » كَأَنَّمَا تَخْتَبِرُهُ : « وَالْيَوْمَ لَا بَدَّ أَنْ تَقْبَلَ ثَمَنَ مَا اشْتَرَيْتَهُ مِنْ مَتَجَرِكُمْ ، وَإِلَّا مَنَعْتَنِي سَيِّدَتِي الْأَمِيرَةُ مِنْ تَخْطِي عَتَبَةٍ بِأَبِكُمْ مَرَّةً أُخْرَى . »

ابْتَسَمَ « بَدْرٌ بِاسْمٍ » وَهُوَ يَقُولُ فِي مَرَحٍ : « أَتَمَنَّى لَوْ تُخْبِرِينِيهَا بِوُضُوحِ أَنْبِي مُصَمِّمٍ عَلَى إِرْسَالِ كُلِّ مَا أُعْجِبَهَا مِنْ بَضَائِعِي ، هَدِيَّةً مُتَوَاضِعَةً لِأَجْمَلِ الْجَمِيلَاتِ ! »

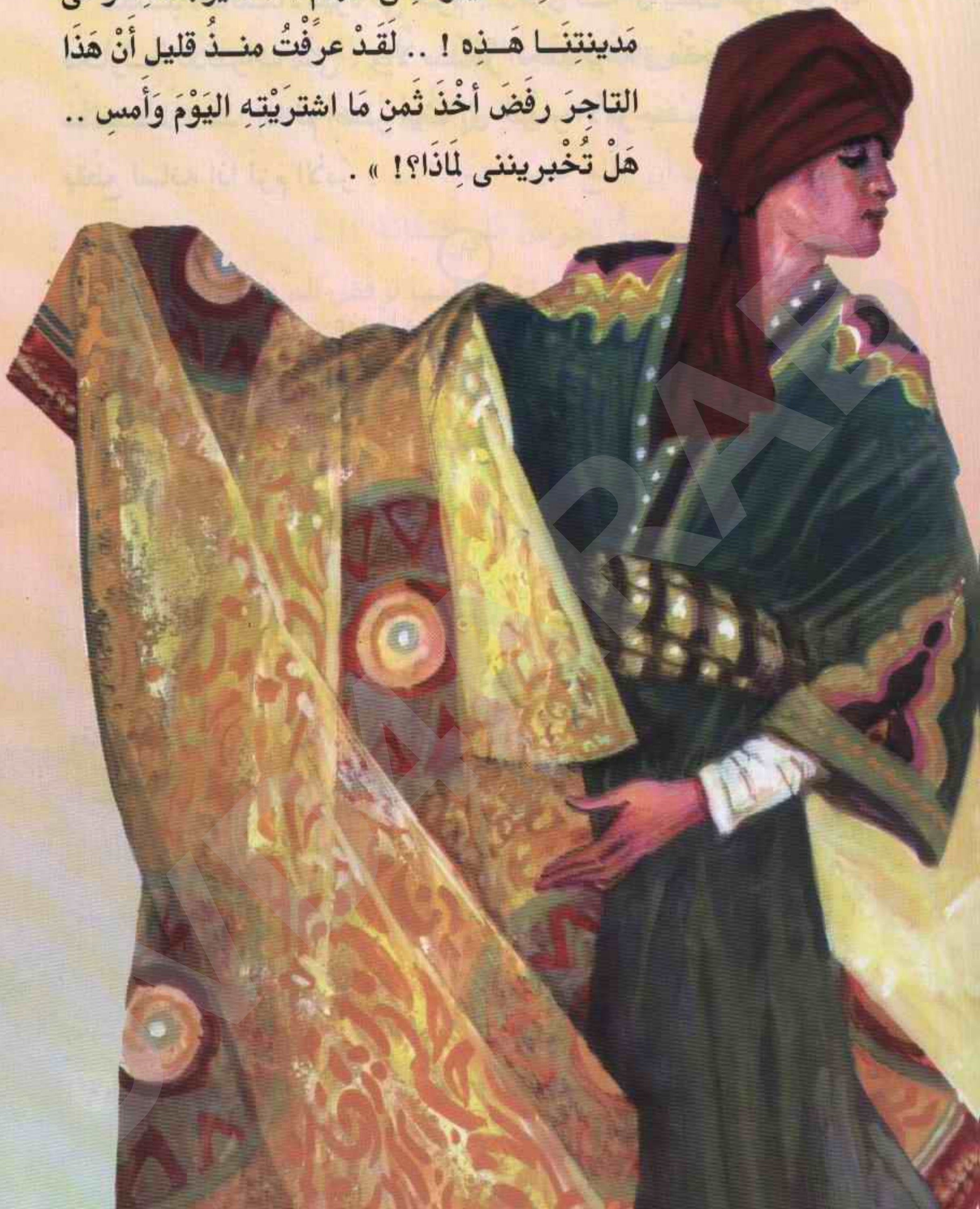
صَاحَتْ « رِيحَانَةٌ » فِي اسْتِنْكَارٍ : « لَعَلَّكَ لَا تَعْرِفُ إِذَنْ مَا يَعْرِفُهُ عَنْهَا كُلُّ النَّاسِ ! ! .. هِيَ تَرْفُضُ أَيَّ شَيْءٍ يَأْتِي مِنَ الرِّجَالِ ! »
ضَحِكَ « بَدْرٌ بِاسْمٍ » : « إِذَنْ اقْتَرَحِي عَلَيْهَا الْحُضُورَ بِنَفْسِهَا ؛ لِتَخْتَارَ مَا يُنَاسِبُهَا مِنْ رَوَائِعِ مَا اخْتَرْتَهُ لَكُمْ مِنْ أَثْوَابٍ .. ! »
وَتَأَمَّلَتْ « دَادَةُ رِيحَانَةٍ » مَلَامِحَ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الْاِقْتِرَاحَ ، وَتَلَاعَبَتْ عَلَى وَجْهِهَا ابْتِسَامَةً ، فَقَدْ تَمَنَّتْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا أَنْ يَكُونَ لِسَيِّدَتِهَا زَوْجٌ فِي مِثْلِ شَبَابِ « بَدْرٍ بِاسْمٍ » وَرُوحِهِ الْمَرِحَةِ وَوَسَامَتِهِ .

٧

عِنْدَمَا نَقَلْتُ رِيحَانَةَ اقْتِرَاحَ « بَدْرٍ بِاسْمٍ » إِلَى سَيِّدَتِهَا الْأَمِيرَةِ ، وَكَأَنَّهُ اقْتِرَاحُهَا هِيَ ؛ لِتَشَاهِدَ بِنَفْسِهَا مَا لَمْ يَسْبِقُ أَنْ رَأَتْهُ مِنْ أَرْوَعِ أَلْوَانِ الْحَرِيرِ ، أَدْرَكَتِ الْأَمِيرَةُ أَنَّ فِي الْأَمْرِ شَيْئًا ، فَسَأَلَتْ مُرَبِّيتَهَا كَأَنَّمَا تَسْتَجُوبُهَا فِي تَحْقِيقٍ : « مَنْ الَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ بِهَذَا الْاِقْتِرَاحِ ؟ »
وَلَا حَظَّتِ الْأَمِيرَةُ اضْطِرَابَ مُرَبِّيتِهَا ، فَعَادَتْ تَقُولُ فِي تَأْنِيْبٍ :
« أَنَا أَعْرِفُ الْأَعْيَبَ الرِّجَالَ ، وَإِذَا كُنْتُ قَدْ رَفُضْتُ الْأَمْرَاءَ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ ، فَلَنْ أَقْبَلَ التُّجَّارَ وَبَائِعِي الْحَرِيرِ ! »

دَافَعَتِ الْمُرَبِّيَّةُ عَنْ نَفْسِهَا : « لَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَنَّ سَيِّدَتِي هِيَ الْأَمِيرَةُ
وَلِيَّةُ الْعَهْدِ ! » .

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ فِي اتِّهَامٍ : « لَا يُوْجَدُ سِرٌّ فِي
مَدِينَتِنَا هَذِهِ ! .. لَقَدْ عَرَفْتُ مِنْذُ قَلِيلٍ أَنَّ هَذَا
التَّاجِرَ رَفِضَ أَخْذَ ثَمَنِ مَا اشْتَرَيْتَهُ الْيَوْمَ وَأَمْسِ ..
هَلْ تُخْبِرِينَنِي لِمَذَا؟ ! » .



سَكَتَتِ الْمُرْبِيئَةُ وَقَدْ فُوجِئَتْ بِسَيِّدَتِهَا وَقَدْ انْكَشَفَ الْأَمْرُ كُلُّهُ
أَمَامَهَا ! .

عندئذٍ أضافت الأميرة في حزم : « قولي له أن يكف فوراً عن أية
محاولة للاقتراب مني ، وإلا سأمر الجند بإغلاق متجره وطرده من
مملكتنا ، هذا إذا لم أضطر أيضاً إلى إصدار الأمر بسجنه ، أو حتى
بقطع لسانه إذا لزم الأمر ! » .

٨

في اليوم التالي ، عندما ذهبت « دادة ريحانة » إلى متجر « بدر
باسم » ، طلبت في اضطراب مقابله على انفراد .
وفي غرفة المتجر الخلفية التي خصصها بدر باسم لعقد
الصفقات ، جلست ريحانة تقول في قلق : « سيدي أساءت فهم
رسالتك إليها ! » .

في جراحة قال : « بل لعلها قد فهمتها على الوجه الصحيح ! » .
صاحت المربئة : « أنصحك إذن أن تنهي فوراً أعمالك هنا ،
وتذهب بتجارتك إلى مدينة لا تهدد فيها الأميرات بقطع لسان أفضل
الشباب ! » .

قال « بدر باسم » في قلق : « تصرفات أميرتكم فيها شيء غير
طبيعي .. هي لم ترني ، وترفض كل من يتقدمون إليها بغير أن
تراهم .. هل ترفض فكرة الزواج أصلاً ولا تسمح بمناقشتها في
ذلك !؟ » .

وعندما تأملَ تعبيراتِ خَيْبَةِ الأملِ التي تلاعبتْ على وَجْهِ المُرَبِّيةِ ،
تَأكَّدَ مِنْ صِدْقِ اسْتِنْتاجَاتِهِ ، فقالَ في عِتَابِ صادقٍ :

« كيفَ تقبلينَ ، وأنتِ مُرَبِّيتُها المُخْلِصَةُ ، وكأنَّكِ والدتُها ، أن
تُصمِّمَ مولاتكِ على هذا الموقفِ الغريبِ غيرِ المفهومِ مِنَ الرِّجالِ !؟ .
هَلْ هُنَاكَ عَيْبٌ خَفِيٌّ فِي تَكْوِينِ جَسْمِهَا ، حَرِيقٌ أَوْ مَرَضٌ
جَلْدِيٌّ ، تخافُ أن يطلَّعَ عليه أحدٌ !؟ .

هَلْ فِي حَيَاتِهَا سِرٌّ تَحْرُصُ على كِتْمَانِهِ !؟ .

لابدَّ أن يعرفَ الناسُ حَقِيقَةَ دوافِعِها لِرَفْضِ الزَّواجِ ، وإلاَّ انتشرتْ
حولها إشاعاتٌ تُؤذي سُمْعَتَها كثيرًا ، وتؤثِّرُ على حَقِّها في تولِّي
الحُكْمِ يومًا وهي الوريثَةُ الوحيدةُ لِعَرْشِ المملَكَةِ ! » .

هنا لاحظْ « بدرِ باسمِ » دُموعًا تكادُ تترقرقُ

في عيني « ريحانة » وهي تقولُ :

« منذُ وقعتُ عيني عليكِ ، تمنَّيتُ

أن تكونَ أنتِ زَوْجَ الأميرةِ التي اعتبرْتُها

- دائمًا - مثلَ ابنتي ، لذلكِ دَعْنِي

أُكشِفُ لَكَ السِّرَّ الَّذِي حَرَصْتَ عليه « حَيَاةُ

النُّفوسِ » طويلاً ، لعلنا نَسْتَطِيعُ معًا

مُساعدتها للتغلبِ على هذا السُّلوكِ

غَيْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي تَتَمَسَّكُ به

ضِدَّ الرِّجالِ ! » .



لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ عَلَى « دَادَةَ رِيحَانَةَ » الْبَدَأُ فِي حِكَايَتِهَا بَعْدَ أَنْ
 كَتَمَتْهَا سَنَوَاتٍ ، تَنْفِيذًا لَوْصِيَّةِ سَيِّدَتِهَا « الْأَمِيرَةِ حَيَاةِ النَّفُوسِ » .
 لَقَدْ شَدَّدَتْ عَلَيْهَا الْأَمِيرَةُ أَنْ تَنْسَى الْأَمْرَ كُلَّهُ ، فَالْأَحْلَامُ الَّتِي
 تَعْتَبِرُهَا هِيَ رُؤْيَا تَحْمِلُ إِلَيْهَا نُبُوءَةً أَوْ رِسَالَةَ تَحْذِيرٍ وَاضِحَةً ، قَدْ



يَتَصَوَّرُهَا آخَرُونَ مُجَرَّدَ الْأَعْيَبِ أَرْوَاحِ عَابِثَةٍ لَا هَدَفَ لَهَا إِلَّا إِقْلَاقُ رَاحَةِ النَّائِمِ !! .

لَكِنَّ رِيحَانَةَ وَقَدْ وَجَدَتِ الْأَمْرَ قَدْ تَفَاقَمَ مَعَ سَيِّدَتِهَا وَازْدَادَ تَسَاوُلُ النَّاسِ حَوْلَهُ ، أَخَذَتْ تَبْحَثُ عَنْ كَلِمَاتٍ تُزِيحُ بِهَا السَّرَّ ، وَتَبْدَأُ بِهَا الْحِكَايَةَ ..

وَفِي شَغْفٍ وَدَهْشَةٍ ، اسْتَمَعَ « التَّاجِرُ بَدْرٌ بِاسْمٍ » أَوْ « الْأَمِيرُ شَهْرْمَانٌ » إِلَى أَعْجَبَ مَا سَمِعَ فِي حَيَاتِهِ ..

١٠

كَانَتْ الْمَلِكَةُ « فخر الزمان » وَالِدَةُ « حياة النفوس » لَا تُحِبُّ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا مِثْلَ حُبِّهَا لِلطَّبِيعَةِ فِي أَشْكَالِهَا الْمُخْتَلِفَةِ .

لَقَدْ أَصْرَتْ - رَحِمَهَا اللَّهُ - أَنْ تُطَلَّ كُلُّ غُرْفٍ أَجْنِحَةَ الْقَصْرِ الْمُخَصَّصَةِ لَهَا عَلَى مَسَاحَاتٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ ، فَلَا تَرَى إِلَّا اللَّوْنَ الْأَخْضَرَ بِدَرَجَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ، يَهْتَزُّ مَعَ النَّسِيمِ أَوْ يَتَمَايَلُ مَعَ الْعَاصِفَةِ ، أَوْ تَرَاقِبُ أَسْرَابَ الطُّيُورِ يَقُودُهَا أَقْوَى الذُّكُورِ كَأَنَّهُ رَأْسُ سَهْمٍ .

وَدَفَعَهَا حُبُّهَا لِلطَّبِيعَةِ إِلَى اخْتِيَارِ بَقْعَةٍ سَاحِرَةٍ كَأَنَّهَا جَنَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، أَقَامَتْ فِي وَسْطِهَا قَصْرًا مِنْ قُصُورِ الْأَحْلَامِ ، تَقْضِي فِيهِ أَوْقَاتَهَا عِنْدَمَا يَنْشَغُلُ زَوْجُهَا « الْمَلِكُ شَهَابُ الدِّينِ » بِالسَّفَرِ ، أَوْ بِقِيَادَةِ الْجَيْشِ لِصَدِّ عُدْوَانٍ ، أَوْ مُعَاوَنَةِ بَلَدٍ مُجَاوِرٍ فِي إِحْدَى تِلْكَ الْحُرُوبِ الَّتِي مَا إِنَّ تَنْتَهَ حَتَّى تَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ !! .

وكانت الملكة حريصة على اصطحاب ابنتها الأميرة « حياة النفوس » ، فاكسبت الأميرة بدورها الافتتان بالطبيعة ، وتشبعت من والدتها بحب الحقائق واللون الأخضر .

وكان لهذا أقوى الآثار في خيال « الأميرة حياة النفوس » وحياتها ، حتى إنها ، بعد انتقال والدتها إلى الرفيق الأعلى ، حرصت بدورها على قضاء كثير من ليالي الصيف في قصر الأحلام وبين أشجار حديقة المدهشة ، التي كانت آخر ما رآته والدتها قبل رحيلها .

١١

ذات ليلة وقد استولى النوم العميق على الأميرة في ذلك القصر الرائع ، وجدت نفسها قد نزلت إلى الحديقة تتجول فيها .

وكم كانت دهشتها عندما رأت في أحد الأركان صيادا قد نشر فوق الحشائش شبكة لصيد الطيور ، نشر فوقها حبوب القمح ثم أخفى نفسه خلف



شجرة حيثُ جلس يُغالبُ النُّعاسَ انتظاراً لِلصَّيْدِ ، لكنَّ النَّوْمَ
غلبَهُ قبلَ أنْ تُغري حُبوبُ الشَّبكة طيورَ السَّماءِ .

ولم يطلِ انتِظارُ الأميرة ، فقدَ أقبل طائرٌ في حَجْمِ الحَمَامِ ، فخورٌ
بذيلِهِ الأحمرِ الطَّويلِ والرَّيشةِ الخُضراءِ اللَّامعةِ فوقَ رأسِهِ .. وسرَّعانَ
ما نزلَ مع أنثاهُ الوديعَةِ الجميلةِ ، لكنها مثلُ بقيَّةِ الإناثِ مِنْ نَوْعِهَا
بغيرِ ذيلٍ أحمرٍ ولا ريشةِ خُضراءِ ، وتبعَتْهُمَا جماعةٌ مِنْ نَفْسِ النُّوعِ
قادمةٌ خلفَ قائدها صاحبِ الرَّيشةِ اللَّامعةِ ، واندفعتْ كُلُّهَا تلتقطُ
الحُبوبَ في نشاطٍ .

وما هِيَ إلا لحظاتٌ حتَّى اشتبكتْ قَدَمُ الذَّكَرِ القائدِ في خيوطِ
الشَّبكةِ ، فانتفضَ يتخبَّطُ في عُنْفِ أفزَعِ بقيَّةِ الطُّيورِ ومعها أنثاهُ ،
فانطلقتْ تطيرُ مُبتعدةً في سُرْعَةٍ واضطرابٍ .

لكنَّ دهشةَ الأميرةِ ازدادتْ عندما رأتِ الأنثى تعودُ وخذها بعدَ
لحظاتٍ ، ونزلتْ حتَّى استقرَّتْ بجوار خيوطِ الشَّبكةِ ، لا تخافُ أن
تسقطَ - هي أيضاً - في الفخِّ !!

وفي جُرأةٍ تقدَّمتْ تنقرُ الخيوطَ التي اشتبكتْ بِهَا قَدَمُ زَوْجِهَا إلى أنْ
قرضَتْهَا .. وبفضلِ حُبِّهَا وصبرِهَا وشجاعتِهَا ، استطاعَ القائدُ
صاحبُ الرَّيشةِ اللَّامعةِ أن يتخلَّصَ من مَصيرِ مُفزِعٍ ، وأن ينطلقَ
إلى الفِضاءِ مع أنثاهُ المُخلِصةِ ، سعيداً بحُرِّيَّتِهِ .



عندما أفاق الصيَّادُ مِنْ نَوْمِهِ ، وَلَمْ يَجِدْ فِي الْفَخِّ صَيْدًا ، حَرَصَ عَلَى إِعَادَةِ إِخْفَاءِ شَبَكْتِهِ جِيدًا بكَثِيرٍ مِنْ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ الْمُتْسَاقِطَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْثُرَ فَوْقَهَا مَزِيدًا مِنْ الْحُبُوبِ ، ثُمَّ عَادَ يَخْتَبِئُ حَيْثُ غَلَبَهُ النَّوْمُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ .

وعندما لَمْ تُشَاهِدِ الطُّيُورُ خُيُوطَ الشَّبَكَةِ ، انْخَدَعَتْ بِحِيلَةِ الصَّيَّادِ وَظَنَّتْهُ انْصَرَفَ مَعَ أَدْوَاتِ صَيْدِهِ ، فَانْزَلَتْ مُطْمَئِنَّةً تُعَاوِدُ التَّقَاطُطِ طَعَامِهَا .. لَكِنَّ الْأُنْثَى الْقَائِدَةَ هِيَ الَّتِي سَرَّعَانَ مَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي الْفَخِّ ، فَرَاخَتْ تَتَخَبَّطُ فِي جُنُونٍ وَقَدِ التَّفَّتِ الْخُيُوطُ فِي إِحْكَامِ حَوْلِ سَاقِهَا .. وَأَفْزَعَتْ الْمُفَاجَأَةَ بِقِيَّةِ الطُّيُورِ ، فَأَسْرَعَتْ تَبْتَعِدُ تَشْقُ السَّمَاءَ بِأَجْنَحَتَيْهَا فِي قُوَّةٍ ، يَقُودُهَا الْقَائِدُ الْفَخُورُ الَّذِي كَانَتْ أَنْثَاهُ قَدْ خَلَصَتْهُ مِنْذُ قَلِيلٍ مِنْ مَصِيرِ مُظْلِمٍ بَعْدَ وَقُوعِهِ فِي نَفْسِ الْفَخِّ .

وانقضى وَقْتُ طَوِيلٍ وَالْأَمِيرَةُ «حَيَاةُ النُّفُوسِ» تُرَاقِبُ الطَّائِرَ الْأُنْثَى تُحَاوِلُ جَاهِدَةً التَّخْلُصَ مِنَ الشَّبَكَةِ ، فَلَا تَزِيدُهَا مُحَاوَلَاتُهَا إِلَّا إِرْهَاقًا ، إِلَى أَنْ كَفَّتْ فِي النَّهَائَةِ عَنِ مُحَاوَلَةِ الْخَلَاصِ ! ...

وتوقعت الأميرة عودة القائد قبل أن يصحو الصياد لينقذ أنثاه
كما أنقذته ، لكن الوقت الطويل انقضى حتى أفاق الصياد من نومه ،
وأسرع نحو الصيد الذي وقع في شبكته ، فأمسك بالأنثى وقد أعد لها
سكينه الحادة ، وذبحها !! ..

١٣

أصاب الرعب الأميرة وتملكها الفرع ، فأفاقته من نومها مرعوبة
وهي تحدث نفسها وتصرخ والدموع تملأ عينيها :
« الآن عرفت طريقة الرجال في التعامل مع النساء !! .. هذه رؤيا
تحمل رسالة يجب أن أتذكرها دائما ... المرأة تُعرض حياتها للهلاك بدافع
الحب والإخلاص لتُنقذ رجُلها من المخاطر وللمحافظة عليه من الهلاك ،
فإذا تعرضت هي بعد ذلك إلى مأزق أو خطر ، ينجو الرجل بحياته وقد
تناسى كل شيء عنها ، وضاع كل ما فعلته معه من معروف !! »
وفي تأكيدٍ أضافت : « مخدوعة وساذجة من تثق في الرجال بعد
اليوم ! »

١٤

وختمت « دادة ريحانة » حكايتها لشهران المتخفي والدموع
تنحدر من عينيها :
« منذ ذلك اليوم لا تطيق الأميرة أن تسمع حديثا عن الرجال ،
كما امتنعت عن الذهاب إلى ذلك البستان إلا مرة واحدة كل عام في يوم



ذَكَرِي وَفَاةٍ وَالدَّتِيهَا ، فَهُوَ مَكَانٌ أَصْبَحَ يُذَكِّرُهَا دَائِمًا بِالطَّائِرِ الْمَذْبُوحِ ،
كَمَا ارْتَبَطَ بِالْحَاحِ مَعَ مَا اسْتَقَرَّ فِي اعْتِقَادِهَا مِنْ جُحُودِ الرَّجَالِ
وَقَسَوْتِهِمْ عَلَى النِّسَاءِ !! » .

١٥

ظَلَّ « شَهْرْمَانُ » يَسْتَعِيدُ مَا رَسَمَهُ حَدِيثُ رِيحَانَةَ أَمَامَ عَيْنَيْهِ مُتَصَوِّرًا
فِيهَا التَّرَقُّبُ وَفِيهَا الْيَأْسُ ، وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ فِي خَيَالِهِ مَوَاقِفَ ذَلِكَ
الْحُلْمِ الْغَرِيبِ الَّذِي انْتَهَى بِتِلْكَ النِّهَايَةِ التَّعْيِيسَةَ الْقَاسِيَةَ !
وَلَا حَظَّ « الْوَزِيرِ زِيدَانَ » كَيْفَ سَيَطَّرُ الْقَلْقُ وَالْهَمُّ عَلَى مَلَامِحِ
شَهْرْمَانَ ، فَاضْطُرَّ أَخِيرًا أَنْ يَسْأَلَهُ :

« مَاذَا فَعَلْتِ بِكَ تِلْكَ الْعَجُوزُ رِيحَانَةَ ؟ » .

وَتَرَدَّدَ شَهْرْمَانُ ، فَقَدْ أَوْصَتْهُ رِيحَانَةُ بِكَيْتْمَانِ سِرِّ سَيِّدَتِيهَا ، لَكِنَّ
الْوَزِيرَ عَادَ يُلْحِقُ :

« هَلْ اسْتَمَعْتِ إِلَى شَيْءٍ يَضَعُ حَاجِزًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَمِيرَةِ ؟ .. هَلْ
سَبَقَ لَهَا الزَّوْاجُ سِرًّا أَوْ أُصِيبَتْ بِصَدْمَةٍ لَا عِلَاجَ لَهَا فِي عِلَاقَتِهَا
بِالرِّجَالِ !؟ » .

هَزَّ الْأَمِيرُ رَأْسَهُ بَعْنَفٍ يُنْفِي كُلَّ ذَلِكَ :

« لَا .. لَا ... » .

وَصَمَتَ لِحِظَةً ثُمَّ أَضَافَ لِيُزِيحَ عَنْ نَفْسِهِ عِبَاءَ مَا عَرَفَ :

« لَقَدْ رَأَتْ حُلْمًا ! » .

صاح الوزير مُستخفًا بالأمر :
« ومنذ متى كانت أحلام النُّوم سببًا في توقُّف دورانِ عجلة الحياة
التي لا تقبلُ التوقُّفَ !؟ »

صاح الأميرُ :
« تذكَّر أنها خبيرةٌ بالأحلام .. أحلامُ النُّوم لها ، تأثيرٌ
عظيمٌ عليها ! »

قال الوزيرُ الحكيمُ في إصرار : « لا بدَّ إذن أن تكشف لي عن تفاصيلِ
حُلُمها هذا ، لعلها أخطأت في التفسير ! »

زفر الأميرُ في ضيق كأنما الأمرُ
مفروغٌ منه : « التفسيرُ واضحٌ
لا يحتاجُ إلى علمٍ أو خيالٍ ! »
اعترض الوزيرُ : « بل كثيرًا
ما تُفسِّرُ الأحلامُ بعكسِ ما نراها
فيها ! »

سكت الأميرُ لحظةً .. لقد تذكَّر
أنَّهُ سمع تلك العبارة ذات مرَّة من
والده الملكِ ! ..

ثمَّ عادَ يستعيدُ في ذهنه المواقفَ
الأخيرةَ من حُلُم الأميرة ، وبعدها
استقرَّ رأيه على أن الأمر ليسَ
بالبساطة التي تصوَّرها ..



قَالَ لِنَفْسِهِ : « مِنْ الْأَفْضَلِ اشْتِرَاكَ الْوَزِيرِ مَعِيَ فِي كَشْفِ سِرِّ حُلْمِ
الْأَمِيرَةِ الْعَجِيبِ ! » .

١٦

اقترح الوزير :

« لَا بُدَّ مِنْ مُقَابَلَةِ دَادَةِ رِيحَانَةَ مَرَّةً أُخْرَى .. »

وَاسْتَطَاعَ الْأَمِيرُ إِقْنَاعَ رِيحَانَةَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى لِقَاءِ جَدِيدٍ ، يَشْتَرِكُ
فِيهِ « الْوَزِيرُ الْحَكِيمُ زَيْدَانُ » الْمُتَخَفِّى تَحْتَ اسْمِ « الْوَكِيلِ نَجْمِ
الْكَاشِفِ » .

سَأَلَ الْوَزِيرُ « رِيحَانَةَ » :

« ذَكَرْتِ أَنْ حَدِيقَةَ قَصْرِ الْأَحْلَامِ كَانَتْ آخِرَ مَا رَأَتْهُ « الْمَلِكَةُ
فَخَرَّ الزَّمَانُ » قَبْلَ رَحِيلِهَا .. هَلْ أَفْهَمُ أَنَّهَا فَارَقَتْ الْحَيَاةَ فِي ذَلِكَ
الْقَصْرِ ؟ » .

قَالَتْ رِيحَانَةُ وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْهَمَ سَبَبًا لِإِلْقَاءِ ذَلِكَ السُّؤَالِ :
« أَظُنُّ أَنَّي أَخْبَرْتُكُمْ بِذَلِكَ ! .. أَمْ فَاتَ عَلَيَّ أَنْ أَذْكَرَهُ لِسَيِّدِي بَدْرٍ
بِاسْمِ ؟ ! » .

عَادَ الْوَزِيرُ يَسْأَلُهَا :

« لِكَيْنَنِي عَرَفْتُ أَنَّ الْمَلِكَةَ لَمْ تَكُنْ تَذْهَبُ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ إِلَّا أَثْنَاءَ
غِيَابِ زَوْجِهَا الْمَلِكِ شَهَابِ الدِّينِ عَنْ مَمْلَكَتِهِ .. هَلْ مَعْنَى هَذَا أَنَّهَا
غَادَرَتْ الدُّنْيَا وَزَوْجُهَا غَائِبٌ عَنْهَا ؟ » .

بَدَأَتْ رِيحَانَةَ تَشْعُرُ بِالْقَلْقِ مِنْ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ ، فَأَجَابَتْ فِي ضَيْقٍ :

« اضطرَّ سيدي الملك أن يترك مليكتَهُ أثناءَ مرضِها الأخير ، ليتولَّى

بنفسِهِ قيادةَ الجيشِ .. » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« وهل كان يتركُ قيادةَ الجيشِ في بعضِ الأحيانِ لقائدِ جيوشِهِ ؟ » .

قالتُ ريحانةُ في احتِدَادٍ : « ما علاقةُ كُلِّ هذا بحُلمِ الأميرةِ !!؟ » .

وفِي هُدوءٍ قالَ الوزيرُ :

« إذا كانَ في الإجابةِ سرٌّ ، ففي إمكانِكَ أن تُحافظِي عليه ! » .

قالتُ ريحانةُ وقد فرغَ صبرُها ، وتريدُ إنهاءَ الحديثِ :

« بل هي أمورٌ يعرفُها كُلُّ أفرادِ الشَّعبِ ، فقدَ هاجمنا أعداءَ أقوياءَ ،

وتزايدَ إحساسُ الناسِ بمدى الخطرِ الذي تتعرَّضُ له البلادُ ، فلمَ يشأَ

مولاي الملكُ تَرَكَ قيادةَ الجيشِ لغيرِهِ » .

وفِي هُدوءٍ وصَبْرٍ عادَ الوزيرُ يسألُها :

« لكنَّ هناكَ أشياءَ لم يعرفها إلا أهلُ القصرِ أنفسهم !!؟ » .

سألتُهُ ريحانةُ - في احتِدَادٍ - وقد تزايدَ ضيقُها : « ماذا تقصدُ !!؟ »

هل تريدُ أن أكتشفَ لكم مزيدًا من أسرارِ سادتي ؟ » .

سألَ الوزيرُ في بَطْءٍ وهو يؤكدُ على كُلِّ كلمةٍ من كلماتِهِ :

« بالرَّغمِ من كُلِّ ذلكَ الخطرِ الذي أحاطَ بالبلادِ ، هل طلبتِ الملكةُ

المريضةُ من زوجها الملكِ أن يبقى إلى جوارها ؟ » .

قالتُ ريحانةُ في حماسٍ كأنما تدافعُ عن ذكرى مولاتِها :

« هي مجردُ جُملةٍ عابرةٍ قالتها ذاتَ ليلةٍ عندما اشتدَّت عليها آلامُ

المرضِ... » .



ثم توقفت فجأة عن حديثها وقالت مُستدركة : « لا أعتقد أنها قصدت منع مولاى من أداء واجبه ! » .

ثم تمهلّت وهى تُضيفُ ببُطءٍ ، وقد تذكرتُ أشياء حاولتُ دائماً نسيانها : « لكن الأميرة حياة النفوس سألتنى بعدها فى جزع شديد : كيف هان على والدى ترك والدتى تُنازع الموت وهو غائب عنها ، بعد أن طلبتُ منه البقاء إلى جوارها !!؟ » .

وأضفتُ ريحانة : « لقد حاولتُ كثيراً أن أشرح للأميرة مُتطلباتِ الواجب وَضُغُوطُهُ ... » .

ثم أضفتُ فى أسى : « ولا أعتقد أنها اقتنعت كثيراً بما قلتُ ، لكنّها توقفتُ فجأة عن الحديث معى حول هذا الموضوع ، وكتمتُ خواطرها عن كلِّ المحيطين بها .. ! » .

سألها الوزيرُ : « كم كان عمرها عندما رحلتُ والدتها ؟ » .

قالتُ ريحانة وقد عاودتها أحزانُ وفاة سيّدتها الملكة : « كانت فى حوالى الخامسة عشرة من عمرها ! » .

همسَ الوزيرُ لنفسه بغير أن يُصرِّح لأحدٍ بهواجسه : « إنها السنُّ التى تطفئُ فيه العواطفُ على تقديرِ المسئولياتِ والواجباتِ ! » .

(١٧)

تزايدتُ دهشةُ شهرمان عندما وجدَ وزيره زيدان يطلبُ من ريحانة أن تدبرَ له زيارةً لقصرِ الأحلامِ وحديقته .

وعندما عاد الوزيرُ مِنَ الزِيَارَةِ ، سَمِعَ مِنْهُ شَهْرْمَانُ كَيْفَ صَدَمَهُ مَا
اكتشفَهُ مِنْ تَسَلُّلِ الإِهْمَالِ إِلَى القَصْرِ وَحَدِيقَتِهِ ..
قالَ الوزيرُ لِأَمِيرِهِ : « يُحِيطُ بِحَدَائِقِ ذَلِكَ القَصْرِ جِدَارٌ مُرتَفِعٌ ، هُوَ
أَكثَرُ الأجزاءِ تَأثراً بِالرطوبَةِ والإِهْمَالِ .
وقَدْ صادقتُ المُشرفَ عَلَى القَصْرِ ، فعرفتُ أَنَّهُمْ لا يَتَذَكَّرُونَ القَصْرَ
والحديقةَ إِلا قَبْلَ مَوْعِدِ زِيَارَةِ الأَمِيرَةِ فِي ذِكْرِي وَفَاةِ الدَّتِيهَا ،



لَكِنِّي اتَّفَقْتُ مَعَهُ عَلَى الْبَدْءِ مُبَكِّرًا هَذَا الْعَامَ فِي الْإِعْدَادِ لِتِلْكَ
الزِّيَارَةِ .

سَأَلَ الْأَمِيرُ وَهُوَ يُحَاوِلُ اكْتِشَافَ السِّرِّ وَرَاءَ تَصَرُّفَاتِ وَزِيرِهِ
وَمُسْتَشَارِهِ : « هَلْ تَقْصِدُ أَنْ تُطِيلَ الْأَمِيرَةَ زِيَارَتَهَا لِلْقَصْرِ لَعَلَّهَا
تَأْنِسُ بِهِ ؟ » .

قَالَ الْوَزِيرُ وَعَيْنَاهُ تَلْتَمِعَانِ بِالْحَيَوِيَّةِ وَالذِّكَاةِ : « بَلْ لِي هَدَفٌ أَقْوَى



أثراً من هذا .. إننى أبحثُ عن أكبرِ فنَّانٍ مُصوِّرٍ لِيُزيِّنَ بِلَوْحَاتِهِ الَّتِي
يُرْسُمُهَا جُدْرَانَ سُورِ الْحَدِيقَةِ بَعْدَ تَرْمِيمِهَا ، لِكَيْ يُبْدِعَ فَنَّهُ مَعَ
نَبَاتَاتِ الْحَدِيقَةِ وَزُهُورِهَا ، تَكَامِلاً يُوَكِّدُ مَا يَتَنَاقَلُهُ النَّاسُ عَنْ جَمَالِ
قَصْرِ الْأَحْلَامِ وَحَدِيقَتِهِ .

تَعَجَّبَ شَهْرَمَانٌ مِنْ طَرِيقَةِ الْوَزِيرِ فِي التَّفَكِيرِ ، فَهَمَسَ لِنَفْسِهِ :
« مَا عِلَاقَةُ تَرْمِيمِ سُورِ الْقَصْرِ ، بِالْفَنَّانِ الرَّسَّامِ ؟ ! .. هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ
يُقَدِّمَ أَيُّ فَنَّانٍ مَا يَفُوقُ فِي جَمَالِهِ إِبْدَاعَ الطَّبِيعَةِ وَرَوْعَتَهَا ؟ ! » .
لَكِنَّهُ رَأَى أَنْ يَتْرَكَ الْوَزِيرَ يُنْفِذُ خُطَّتَهُ ، إِلَى أَنْ يَتَوَصَّلَ هُوَ إِلَى
شَيْءٍ يَسْتَطِيعُ بِهِ مُوَاجَهَةَ تِلْكَ الْأَسْرَارِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ
رِيحَانَةَ وَصَيْفَةَ حَيَاةِ النَّفُوسِ .

١٨

فِي يَوْمِ ذِكْرَى وَفَاةِ الْوَالِدَةِ الْأَمِيرَةِ ، وَهُوَ يَوْمُ الزِّيَارَةِ السَّنَوِيَّةِ
الَّتِي اعْتَادَتْ أَنْ تَقُومَ بِهَا الْأَمِيرَةُ لِقَصْرِ الْأَحْلَامِ ، فَوَجَدَتْ قَبْلَ أَنْ
تَدْخُلَ بِالْحَوَائِطِ الْخَارِجِيَّةِ لِلسُّورِ الَّذِي يُحِيطُ بِحَدَائِقِ الْقَصْرِ وَقَدْ تَمَّ
تَجْدِيدُهَا عَلَى نَحْوِ كَامِلٍ .

سَأَلَتِ الْأَمِيرَةُ مُرَبِّيتَهَا فِي دَهْشَةٍ : « لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَجِدُهُمْ يَهْتَمُّونَ
بِسُورِ الْحَدِيقَةِ كُلِّ هَذَا الْإِهْتِمَامِ ! » .
قَالَتِ الْمُرَبِّيَةُ رِيحَانَةَ : « فِي هَذَا الْعَامِ لَاحِظْتُ أَنَّهُمْ يَسْتَعِدُّونَ مِنْذُ
شُهُورٍ لَزِيَارَتِكَ السَّنَوِيَّةِ هَذِهِ يَا مَوْلَاتِي » .
وَدَخَلَتِ الْأَمِيرَةُ الْحَدِيقَةَ ...

كانت تعتزم التوجه مباشرة لدُخول مَبْنَى القَصْرِ ، عندما استوقفها
شيءٌ ، فصاحت : « انظري يا ريحانة ! .. ما أجمل هذه الرسوم التي
أراها على حوائط السور » .

وتظاهرت ريحانة أنها فوجئت مثل سيديتها ، فصاحت هي
الأخرى :

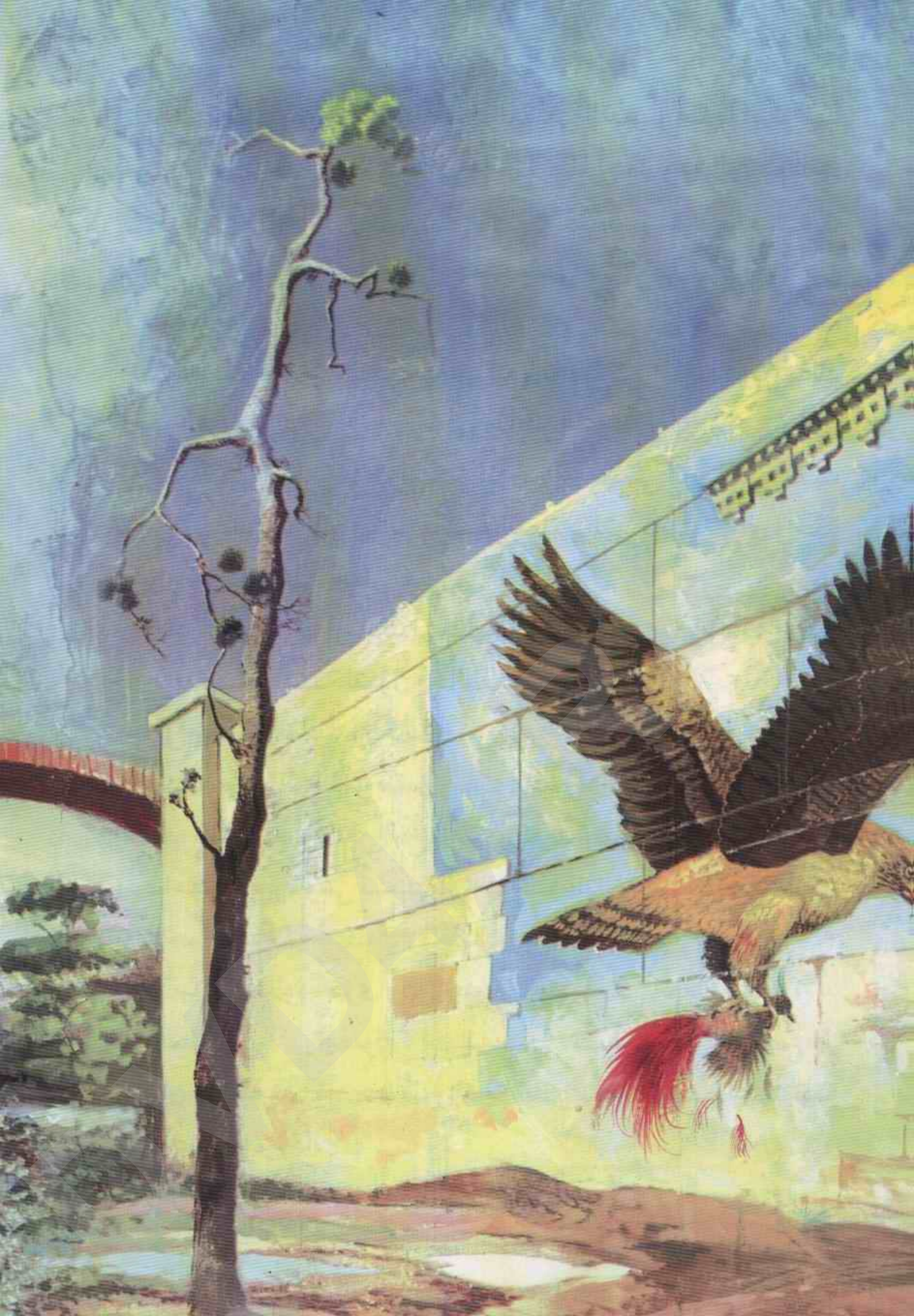
« بل هي لوحات تُشير العجب أيضا يا مولاتي ! .. تذكرني بذلك
الحلم الغريب الذي رأيته يوماً في منامك !! » .

ونسيت الأميرة اعتزامها التوجه إلى مَبْنَى القصر ، ووقفت
تأمل في دهشة اللوحات فائقة التعبير التي كانت تتوالى واحدة
بجوار الأخرى على جدار السور...

قالت الأميرة وقد ازدادت دهشتها : « تأملي معي يا ريحانة .. هذا
صيادٌ ينصب شبكته لتكون فخاً للطيور !! » .
وفي حماسٍ أضافت ريحانة :

« وهذا هو الطائر الذكر بنفس ريشته الخضراء اللامعة فوق رأسه وذيله
الأحمر الطويل قد وقع في الفخ ، بينما طارت بقية الطيور خائفة !! » .
صاحت الأميرة وهي تشير إلى اللوحة الثالثة : « وها هي الأنثى
تنقر حبال الشبكة لتخلص زوجها بينما الصياد نائم ! » .

ثم سارت خطوةً أخرى وهي تصيح بالوصيفة في انفعالٍ بالغ :
« هذا شيءٌ غير معقول !! .. إنه حلمي قد نقلته يد رسامٍ مبدع إلى
جدران حديقة قصرنا ... تأملي الصياد قد استيقظ وعاد ينصب شبكته
مرةً أخرى يا ريحانة ! » .





ثم أكملت في حُزنٍ وكآبةٍ :

« وها هي الأنثى تقع في الفخ ، والذكر يطير مُبتعدًا عنها مع بقيّة الطيور ، وينساها ! » .

هتفت ريحانة في أسى : « لَيْتَهُ النسيانُ يا مولاتي ! ... هنا يا سيّدتى شيءٌ غابَ عن عينيكِ !! » .

وأمام اللوحة الأخيرة ، وقفت الأميرة صامتةً مذهولةً وقد أصابتها الحيرةُ بصدمةٍ بالغةٍ .. كان هناك نسْرُ جارحٌ قد انقضَّ على سِرْبِ الطيورِ الهاربةِ ، وأمسكَ الذكرَ الفخورَ بينَ مخالبه ، وراح يُمزقهُ بمنقاره الحادِّ !! ...

واختنق صوتُ ريحانةٍ بالدموعِ وهي تقولُ من بين تنهّداتها :
« يا للمسكين ! .. قتله المعتدي فمنعه إلى الأبدٍ من العودةِ لإنقاذِ أنثاه ، فذبحها الصيادُ ! » .

تحشرج صوتُ الأميرة باللوعةِ والأسى :

« هذه نهايةٌ غابت عن حلمي .. » .

قالت الوصيفةُ مواسيةً : « أفزعك منظرُ الصيادِ وهو يقتلُ الأنثى ، فاستيقظت وقد أصابك الرعبُ قبل أن يكتملَ حلمك !! » .

ثم أضافت كأنما هو خاطرٌ جاءها في تلك اللحظة :

« أو لعلَّ الفنانَ الرّسامَ قد حلّمَ نفسَ الحلمِ ، ولم يفزع كما فزعَتِ

يا مولاتي ، فرأى الحلمَ حتّى نهايته ... » .

ثم تمهلّت قبل أن تقولَ في تأكيدٍ :

« لقد وصلتُهُ الرسالةُ كاملةً يا سيّدتى !! » .

كَانَ الْمَرْحُ يَسُودُ هَذِهِ الْمَرَّةَ الْاجْتِمَاعَ الَّذِي تَمَّ عَقْدُهُ فِي غُرْفَةِ الصَّفَقَاتِ
بِمَتَجَرِّ شَهْرَمَانَ .

جَلَسَ « الْأَمِيرُ التَّاجِرُ » يَسْتَمِعُ فِي شَغْفٍ هُوَ « وَالْوَزِيرُ الْحَكِيمُ زَيْدَانُ »
إِلَى دَادَةِ رِيحَانَةَ ، تَنْقُلُ إِلَيْهِمَا كَيْفَ وَقَفَتِ الْأَمِيرَةُ « حَيَاةُ النُّفُوسِ »
لَا تَتَحَرَّكُ أَمَامَ آخِرِ لَوْحَةٍ عَلَى حَائِطِ الْبُسْتَانِ ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَتْ فِي
تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ وَالِدُمُوعُ تَتَرَقَّرُ فِي عَيْنَيْهَا ، وَهِيَ تَتَأَمَّلُ ذَلِكَ النَّسْرَ
الْمُتَوَحِّشَ يُمَزَّقُ قَائِدَ الطَّيُورِ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ تَاجَهُ الْأَخْضَرَ وَلَوَّثَ ذَيْلَهُ
الْأَحْمَرَ الزَّاهِيَ بِدِمَائِهِ الدَّاكِنَةِ .

قَالَ الْوَزِيرُ الْحَكِيمُ :

« لَيْسَتْ هَذِهِ إِلَّا الْخَطْوَةُ الْأُولَى ، فَمَعَ ثِقَتِي أَنَّهَا اقْتَنَعَتْ بِعَقْلِهَا
كَيْفَ تَجَنَّتْ كَثِيرًا عَلَى الرَّجَالِ فِي فَهْمِ مَعْنَى حُلْمِهَا ، فَلَيْسَ مِنْ
السَّهْلِ أَنْ تَتَغَيَّرَ مَشَاعِرُهَا نَحْوَهُمْ بِنَفْسِ السَّرْعَةِ » .

صَاحَ الْأَمِيرُ فِي انْدِفَاعٍ :

« يَكْفِي أَنَّهَا أَدْرَكَتْ أَخِيرًا عَدَمَ سَلَامَةِ تَفْسِيرِهَا فَاَنْفَتَحَ السَّبِيلُ
أَمَامِي لِأَتَقَدَّمَ لِخِطْبَتِهَا ... لَكِنْ كَيْفَ أَنْقُلُ إِلَيْهَا نَبْضَ مَشَاعِرِي وَحَقِيقَةَ
شَخْصِيَّتِي ؟ ! » ..

ضَحَكَتْ رِيحَانَةُ فِي مُحَاوَلَةٍ لِتَهْدِيَةِ انْفِعَالِ الْأَمِيرِ :

« هِيَ الْآنَ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مَشَاعِرِكَ ، فَقَدْ أَصْبَحَتْ الْأَمِيرَةُ لَا تَمَلُّ
مِنَ الْاسْتِمَاعِ إِلَى حَدِيثِي مَعَهَا عَنْ تَقْدِيرِي لِلشَّابِّ الْوَسِيمِ « بَدْرُ بَاسِمِ »
الَّذِي لَا يَكْفَى عَنْ إِبْدَاءِ الْإِعْجَابِ بِهَا ! » .

ظهرت ابتسامة على وجه الأمير بينما أضاف الوزير : « أمّا عن حقيقة شخصيتك ، فقد اضطررت أن أكشف عنها لدادة ريحانة لكي تُساعدنا على وجه أفضل ! .. فهل تفضل يا مولاي أن يتقدم الآن لخطبة الأميرة « التاجر بدر باسم « أم « الأمير شهرمان ؟! » .

ثم قال في لهجة جادة : « لكن تذكر يا مولاي أن ولي عهد مملكة شيراز لا يأتي لخطبة أميرة إلا في موكب يليق به ، بعد أن تكون البلد قد استعدت كلها لاستقباله ! » .

ووجدت ريحانة ضرورة أن تتدخل في الحديث ، فقالت : « لم يسبق أن تقدم لخطبة « مولاتي حياة النفوس » إلا أمراء ، وهي تتصور دائماً أنهم يطمعون في ضم مملكتنا إلى ممالكهم ... لماذا لا نجرب أن يتقدم إليها هذه المرة « تاجر الحرير بدر باسم » وليس « الأمير شهرمان » ؟ » .

هنا الوزير ريحانة على صواب تقديرها للأمر ، فأضاف الأمير شهرمان : « علينا إذن تدبير لقاء يتعرف فيه أحدنا على الآخر ، بغير أن تشعر الأميرة أننا نقصد تحقيق غرض معين » .



قال الوزير زيدان وهو يقصد أن يوحى لريحانة بنوع اللقاء : « ولعلك لا تعرفين يا ريحانة أن الأمير شهرمان بطل من أبطال الفروسية ، وأعظم الأبطال في المبارزة ومهارات ألعاب الخيل ... ! » .

تعاونت « دادة ريحانة » مع « الوزير سهمان » وزير مملكة بابل ، في الإيحاء للأميرة « حياة النفوس » بخطّتهما .
 قالت دادة ريحانة للأميرة : « من المهمّ تغيير الصورة التي ارتسمت أمام الناس بشأن موقفك من الرجال » .

وفي لهجة أبويّة حانيّة ، قال الوزير الذي طلبت منه « دادة ريحانة » أن يعمل معها لبناء جسور جديدة من الثقة بين وليّة العهد ورجال شعبها : « الحاكم يجب أن يكون متوازناً في تعامله مع الرجال والنساء في مملكته .. كيف نرفض وضع الثقة في الرجال وهم نصف المجتمع يا مولاتي ؟! » .

قالت الأميرة في حيرة : « ومن أين أبدأ بعد أن بدأت أقنع نفسي أن تصرفات الرجال قد تكون لها أسباب غير التي تظهر أحياناً أمام أبصارنا ؟ » .

قال الوزير : « نعلن مثلاً أنك ستشاركين والدك ، لأول مرة ، في مشاهدة مباراة بين شباب الفرسان ! ... » .
 ونطق كلمة « شباب » في بطء ليؤكد عليها في ذاكرة الأميرة وعواطفها !

أمّا دادة ريحانة فقد كانت تأمل أن تتعرف مولاتها خلال تلك المباريات على « بدر باسم » زهرة الشباب .

لَمْ يوافقِ الْمَلِكُ عَلَى إِقَامَةِ احْتِفَالِ الْمَبَارِيَاتِ إِلَّا بِشَرَطِ أَنْ تَكُونَ الْمُسَابَقَاتُ تَمَهِيدًا لِتُخْتَارَ الْأَمِيرَةُ زَوْجًا لَهَا مِنْ بَيْنِ شَبَابِ الْفَائِزِينَ ! .

قَالَتِ الْأَمِيرَةُ فِي احْتِجَاجٍ :

« كَيْفَ نَطْمِئِنُّ كُلَّ الْأَطْمِئِنِّانِ إِلَى فَائِزٍ فِي مَبَارِيَاتٍ ؟ ! .. هَلْ مُجَرَّدُ الْفَوْزِ يَجْعَلُهُ زَوْجًا أُرْتَاخُ إِلَيْهِ أَوْ أَجْدُ السَّعَادَةِ مَعَهُ ؟ ! كَيْفَ نَثِقُ أَنَّهُ سَيَكُونُ أَفْضَلَ مَنْ يُشَارِكُنِي الْحُكْمَ ذَاتَ يَوْمٍ ؟ » .

رَفَضَ الْمَلِكُ أَنْ يَتَزَحَّزَحَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَرَاحَ يُوَكِّدُهُ فِي إِصْرَارِهِ : « أَنَا مُتَمَسِّكٌ بِهَذَا الشَّرْطِ ، فَلَنْ أَقْبَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ تَتْلَاعَبِي بِأَحْلَامِ الشَّبَابِ ! » .

تَحَايَلَتِ الْأَمِيرَةُ وَقَدْ رَأَتْ مِقْدَارَ تَمَسُّكِ وَالِدِهَا بِشَرِطِهِ : « إِذْنٌ نَجْعَلُ هَذَا الشَّرْطَ سِرًّا بَيْنَكَ وَبَيْنِي يَا وَالِدِي ، لِكَيْ لَا نَتَوَرَّطَ فِي الْمَوَافِقَةِ عَلَى زَوْجٍ قَدْ تَكُونُ أَنْتَ أَوَّلَ مَنْ تَرَفُضُهُ ! » .

وَسَكَتَ الْمَلِكُ لِحِظَةً يُفَكِّرُ فِي حُجَّةِ ابْنَتِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يوافقِ إِلَّا عِنْدَمَا أَضَافَتْ : « وَلِتَشْجِيعِ شَبَابِ الْفُرْسَانِ عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي هَذِهِ الْمَبَارِيَاتِ ، نَعْلِنُ أَنَّي سَأَقُومُ بِنَفْسِي ، وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، بِتَسْلِيمِ الْفَائِزِينَ مَا تَمْنَحُهُ جَلَالَتُكَ لَهُمْ مِنْ جَوَائِزٍ وَنِيَاشِينَ » .



جَلَسَتْ « الأَمِيرَةُ حَيَاةُ النُّفُوسِ » بِجَوَارِ وَالدِّهَانِ « الْمَلِكِ شَهَابِ الدِّينِ » عَلَى مَقْعَدَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ ، فَوْقَ مَنْصَةِ عَالِيَةٍ تُشْرِفُ عَلَى الْمِيدَانِ الرَّئِيسِيِّ الْمُتَّسِعِ أَمَامَ الْقَصْرِ الْمَلِكِيِّ ، حَيْثُ سَتُقَامُ أَكْبَرُ مَبَارِيَاتِ لِلْفَرُوسِيَّةِ تَشْهَدُهَا مَمْلَكَةُ بَابِلِ .

وَبَدَأَتْ الْمَبَارِيَاتُ ، فَلَا حَظَّتِ الْأَمِيرَةُ مِنْ بَيْنِ الْمُتَسَابِقِينَ فَارِسًا يُخْفِي وَجْهَهُ وَرَاءَ قِنَاعٍ ، فَلَمَّا سَأَلَتْ عَنْهُ قَالَ لَهَا الْوَزِيرُ سَهْمَانُ : « إِنَّهُ مُتَسَابِقٌ رَفِضَ أَنْ يُعْلِنَ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اجْعَلُوا مَهَارَاتِي تُعْلِنُ عَنِّي !! » .

وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً الْحَفْلِ أَنَّهَ بَدَأَ بِمَبَارَاةٍ شَدِيدَةِ الْخَطُورَةِ فِي تَرْوِيضِ فَرَسٍ جَامِحَةٍ شَدِيدَةِ الْعُنْفِ ، تَشَبَّ عَلَى سَاقَيْهَا الْخَلْفِيَّتَيْنِ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا فَارِسٌ ، وَتَضَرَّبَ الْأَرْضَ بِحَوَافِرِهَا - كَأَنَّمَا تَدْكُهَا دَكًّا - كُلَّمَا حَاوَلَ مُتَسَابِقٌ أَنْ يَلْمَسَهَا .. ! .

وَأَخِيرًا تَقَدَّمَ ذَلِكَ الْفَارِسُ صَاحِبُ الْقِنَاعِ ، وَتَحَايَلَ حَتَّى جَعَلَ أَشْعَّةَ الشَّمْسِ فِي مَوَاجِهَةِ عَيْنِي الْفَرَسِ ، فَأَصْبَحَ ظِلُّهَا خَلْفَهَا ... وَسُرْعَانَ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يِعْتَلِيَ ظَهْرَهَا ... لَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ الْفَرَسَ تَخَافُ مِنْ ظِلِّهَا كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ ، فَجَعَلَهُ خَلْفَهَا لِكِي لَا تَرَاهُ .

وَارْتَفَعَ هُتَافُ النَّاسِ وَتَصْفِيقُهُمْ ، لَيْسَ فَقَطُ لَشَجَاعَتِهِ ، بَلْ لِدَكَائِهِ وَحِكْمَتِهِ ..

هَمَسَتْ الْأَمِيرَةُ لِنَفْسِهَا :

« هَا هُوَ فَارِسٌ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالشَّجَاعَةِ » .





والغريبُ أنَّ ذلكَ الفارسَ نفسه هُوَ الذي فازَ بسُهولةٍ في
مُختلفِ مُسابقاتِ المَبَارَزةِ ! .

وعندمَا جاءَ دَوْرُ ألعابِ الخَيْلِ ، وقفَ ذلكَ الفارسُ على ظَهْرِ
حصانِهِ يَجْرِي به حَوْلَ السَّاحَةِ بغيرِ أنْ يسقطَ أو يفقدَ توازنَهُ ، ثمَّ
تعلَّقَ بالسَّرجِ والجمَاهيرِ يتعالى تصفيقُهَا إعجابًا بجسارَتِهِ ومهاراتِهِ ،
والهتافِ يتكرَّرُ مُدَوِّيًا :

« يعيشُ الفارسُ المُقنَّعُ » .. « الجائزةُ لصاحبِ القِنَاعِ ! »

وكانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أنْ تُعلنَ لجنَّةُ الحُكَّامِ فوزَ ذلكَ الفارسِ ، ثمَّ
تطلبَ منه أنْ يتقدَّمَ إلى مَلِكِ البلادِ ليُعلنَ عنْ شخصيَّتِهِ ، ويتسلَّمُ مِنَ
الأميرةِ أرفعَ الأوسمةِ والجوائزِ .

وفي ثقةٍ تقدَّمَ الفارسُ صاحبُ القِنَاعِ نحوَ عرشِ الملكِ ووليَّةِ عهدِهِ ،
وأنحنى في رشاقةٍ وهو يقولُ :

« أقدمُ انتصاراتي إلى مولاتي الأميرةِ وليَّةِ العهدِ ، لعلَّها تقبلُنِي

فارسًا لها ! » .

قالَ الملكُ في إعجابٍ وسعادةٍ : « دَعْنَا أولاً نتعرَّفُ عليكِ ، لأنَّكَ

جمعتَ اليومَ بينَ الحكمةِ والشجاعةِ ! » .

هنا تحرَّكَ الفارسُ إلى يسارِ المنصَّةِ ، فأصبحَ يُواجهُ الجمَاهيرَ

المُحتشدةَ التي تهتِفُ له ، وفي الوقتِ نفسه يستطيعُ رؤيةَ الملكِ

والأميرةِ ... ثم رفعَ يديهِ ونزعَ القِنَاعَ ببُطءٍ عنْ وجهِهِ ..

وارتفعتُ في السَّاحَةِ صيحاتُ دهشةٍ عاليةٍ :

« تاجرُ شيراز .. » « بدر باسم !! .. » .
وأصابَ القلقُ الملكَ عندما سَمِعَ كلمةَ « تاجر » ، بينما ابتسمتِ
الأميرةُ راضيةً ، فقد عرفتُ كثيراً من مربيتهَا عن « التاجر بدر باسم »
وعن نُبُلِ أخلاقِهِ وحكمةِ تصرُّفَاتِهِ واتِّساعِ أفقِهِ وثقافتهِ .
أما الملكُ ، فإنه في قلقٍ وبغيرِ حماسٍ سألَ الشابَّ الذي يقفُ أمامَهُ :
« هل أنتَ فارسٌ أم تاجرٌ ؟!! » .

وقاطعَ هُتافَ الجماهيرِ سؤالَ الملكِ : « يعيشُ الفارسُ بدر باسم » .
وفى هُدوءٍ قالَ الأميرُ للملكِ : « لقد عرفني أهلُ بلدِكُم على أنني
« التاجرُ بدر باسم » ، وأستأذِنُكُم أن تعرفوا الآنَ يا مولاى أنني
« الأميرُ شهرمان » ولي عهدِ مملكةِ شيراز » .

واختلطَ الأمرُ على الملكِ ، فمالتِ ابنتُهُ الأميرةُ على أُذنيه هامسةً :
« إنه أميرٌ جاء مُتخفياً كتاجر ... »

وازدادَ الأمرُ غموضاً على الملكِ ، فهمسَ لابنتِهِ في ضيقٍ :
« ولماذا لم يأتِ كأميرٍ ووليٍّ للعهدِ ؟! كُنَّا سنُكرِّمُهُ أفضلَ إكرامٍ ! » .
وزادَ ابتسامُ الأميرةِ وهي تتأملُ وسامةَ الأميرِ وشبابَهُ ، فتهمسُ
لنفسِهَا :

« كيفَ أجعلُ والدي يفهمُ حيلَ الشبابِ للوصولِ إلى تحقيقِ
أحلامِهِم ؟! » .

ولكى تُجيبَ عن تساؤلِهَا ، رأتها الجماهيرُ تهبُّ واقفةً في
حماسٍ ، ثمَّ انطلقتْ تصفقُ في حرارةٍ وتهتفُ بالناسِ :
« .. يعيشُ الفارسُ الأميرُ شهرمان ولي عهدِ شيراز » .

لقد قررتُ وهي تهتفُ ، أن تَضَعُ نهايةً حاسمةً سعيدةً لإخضاعِ
حياتها لتفسيراتِ الأحلامِ الخادعةِ !! .

وسكتتِ الجماهيرُ لحظةً لتستوعبَ معنى كلامِ الأميرةِ ...
ثم انفجرَ التصفيقُ والتهتافُ مرةً ثانيةً ، بينما الملكُ يرددُ في
حيرةٍ : « أنا لا أفهمُ كلَّ هذا الذي يحدثُ أمامي ؟! » .
وانطلقتِ الأميرةُ تضحكُ في مَرَحٍ وهي تتبادلُ معَ الأميرِ شهرمان
نظراتٍ تحملُ كثيرًا من المعانى ...

ثم طوّقتِ كتفيَ والدها وهي تهمسُ له في فرحٍ :
« أمّا أنا .. فقد فهمتُ كلَّ شيءٍ بوضوحٍ يا والدي !! » .

« تمت »

